اللغة في ليبيا من خلال كتب التاريخ والرحلات

د. رضوان عبد الكريم الطاهر عمران (*)

(1)

تمهيد

تحظى اللغات بأهمية كبيرة في التاريخ الثقافي والأدبي لأي مجتمع في العالم، وتؤثر بشكل واسع على الهوية الاجتماعية، خاصة أن أبجديتها وأصوات أحرفها تسرد أحداث الحضارات الأولى والقديمة التي اندثرت معها أو تغيرت مع تبدل القوى الحاكمة في تلك المناطق، التي طرأت عليها العديد من التغيرات والتحولات السياسية والاجتماعية والدينية ، ونتيجة لهذه الحركة حدث تبادل واختلاط لغوي بين الثقافات، الذي من تبعياته اختفاء بعض اللغات بشكل كامل، أو فرض لغات جديدة نتيجة لأسباب مختلفة منها حركات الهجرة، والفتوحات الإسلامية، والاستعمار الأجنبي، كل ذلك ترصده كتب التاريخ والرحلات التي تعد المنظومات المعرفية التي لها تميزها وحضورها في مختلف الدراسات؛ لأنها تشكل مرجعا معرفيا مهما ووثيقة مكتوبة شاهدة على الماضي البشري بأية لغة كانت، تحمل طابع فترة معينة، صالحة للاستعانة بها في مختلف الدراسة.

وهذه الورقة تحاول سبر أغوار كتب تاريخ ليبيا لتستل منها الشهادات الخاصة بتاريخ اللغة في ليبيا مستعينة بالمنهج التاريخي والمنهج الوصفي لتجيب عن الأسئلة التالية: من هم سكان ليبيا الأصليين؟ وما هي اللغة التي كانوا يتحدثون بها؟ وهل هي لغة واحدة أم أنها لغات متعددة؟ وما هي اللغات التي دخلت إلى ليبيا عبر التاريخ؟ وما هي اللغة التي سادت وما هي اللغة التي بادت؟ وما أسباب ذلك؟

(*) قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة طرابلس.

(2)

ليبيا عبر التاريخ

توطئة:

يعد التاريخ لأي أمة هو المرآة التي تعكس وجودها، وهو أحد مقوماتها، وهو أيضا سجل تجاربها، والإنسان بطبعه يلتفت إلى التاريخ دائما؛ كي يتعلم منه خبرة الحياة، يقول الشاعر:

من لم يع التاريخ في صدره لم يدر حلو العيش من مره

ومن وعى أخبار من قد مضى أضاف أعمارًا إلى عمره

فمعرفة الماضي كفيلة بفهم الحاضر لبناء المستقبل، والحديث عن تاريخ اللغات البشرية من الموضوعات المهمة في حياة الشعوب لهذا سوف نحاول من خلال هذه الدراسة تلمس تاريخ اللغة في ليبيا مستعينين بأقوال المؤرخين والرحالة الذين تحدثوا عن ليبيا في كتاباتهم أو زاروها أثناء تنقلاتهم ومع قلة الدراسات التاريخية عن تاريخ اللغة إلا أننا سوف نحاول ربط هذه الأقوال لعلنا نظفر بشيء ينير لنا الطريق ويوضح لنا ولو بشكل بسيط هذا التاريخ.

أما اللغة فهي القدرة على اكتساب واستخدام نُظمٍ معقّدةٍ من الاتّصالات والتواصل بين البشر، لا سيّما بسبب قدرة الإنسان على استخدام تلك الأنظمة المعقّدة في الاتصال، واللغة المنطوقة هي المقصود بهذا النظام. تُسمّى الدراسة العلميّة للغة باللغويات، واللغة كنظامٍ وُجدت لتساعد الإنسان على التعبير ونقل أفكاره ومشاعره وهمومه إلى الأفراد الآخرين؛ فهي بذلك طريقةٌ قويةٌ وفعّال، وهي آية من آيات الله حيث يقول: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴾[1]

(1) الروم:22.

واللغة : هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم وهى نسق من الإشارات والرموز، يشكل أداة من أدوات المعرفة، وتعتبر اللغة أهم وسائل التفاهم والاحتكاك بين أفراد المجتمع في جميع ميادين الحياة. وبدون اللغة يتعذر نشاط الناس المعرفي. وترتبط اللغة بالتفكير ارتباطًا وثيقًا؛ فأفكار الإنسان تصاغ دومًا في قالب لغوي، حتى في حال تفكيره الباطني، وهذه اللغة التي بتكلم بها البشر تختلف وتتباين باختلاف أجناسهم وأعراقهم، وقد اختلف علماء اللغة في تعيين سبب تعدد اللغات فمنهم من قال أن اللغة وضعية (أي: إن كل قوم قد اتفقوا على وضع لفظ معين ليدل على مدلول معين) وقال آخرون إن اللغة ربانية وليست وضعية أي أن الله قد ألهم كل قوم لغتهم. وقول آخر يرى أنها محاكاة لما يسمع من أصوات وذلك بتقليد ما يسمع يتعلم اللغة، وغيرها من الأقوال ولكن الراج إن الأصل في اللغة أن الإنسان مزود بنظام يعطيه على صوغ الألفاظ وهذه القدرة لا تظهر إلا عند الحاجة.

1-2 تاريخ ليبيا القديم قبل 5000 عام، ليبيا عبر التاريخ

كان ظهور الاسم ليبيا وتداوله في النقوش المصرية القديمة ليدل وبوضوح على القبائل الليبية التي كانت تقطن جبل برقة والصحراء الغربية لمصر، فورد ذكرها على لوحة الملك مرنبتاح وكذلك في معبد الكرنك.

من الناحية التاريخية يبدو انه اشتق من الكلمة المصرية القديمة (ريبو) أو الليبو وتقابلها في اليونانية (ليبوس) مما يقابلها في العربية ليبيا، وورد اسم الليبو أو ليبيا في نقش مصري قديم يرجع إلى عهد رمسيس الثاني (1298-1232) قبل الميلاد وكان يطلق على إحدى الفرق العسكرية التي عملت في الجيش المصري آنذاك وشاركت في الحملات على بلاد فلسطين وسوريا.

من الواضح ان الليبيين هم من اتصل بهم في بادئ الأمر وذلك في عصر الملك رمسيس السادس من الأسرة العشرين ثم انتقل الاسم ليبيا حيث تلقفه الفينيقيون قبل هجرتهم إلى الشمال الإفريقي وعُثر على نقوش فينيقية متعددة ورد بها هذا اللفظ

(ليبيا) وما لبث ان انتقل إلى الإغريق سكان اليونان الحالية وذلك خلال العصر البرونزي .

عرفت ليبيا قديما بما يسمى اليوم المغرب العربي ؛ وهو المنطقة الواقعة من مدية السلوم غرب الإسكندرية إلى سواحل المحيط الأطلسي غربا، ومن شواطئ البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى الصحراء جنوبا، وفي القرن التاسع قبل الميلاد قلص الفينيقيون هذا المدلول فأصبح يطلق على الجزء الشرقي من المغرب العربي ، وبعد أن تم الفتح الإسلامي لبرقة سنة670م واستقروا فيها أطلقوا اسم ليبيا على المنطقة الممتدة من خليج قابس غربا إلى خليج سرت شرقا مع إقليم بنغازي وفزان، وأطلقوا اسم إفريقيا على ما كان يعرف سابقا باسم ليبيا.

أما الجغرافيون العرب فقد أطلقوا على هذه المنطقة (المغرب) ، أو بلاد المغرب أو جزيرة المغرب، ويقصد بذلك الأرض الممتدة من شرق مدينة السلوم إلى المحيط الأطلسي . يقول ابن خلدون: "وهؤلاء البربر جيل وشعوب وقبائل أكثر من أن تحصى...وهم سكان المغرب القديم ملأوا البسائط والجبال من تلوله وأريافه وضواحيه وأمصاره" كما كانوا يطلقون عليها اسم (بلاد البربر) نسبة إلى سكانها الأصليين.

أما المسلمون في مصر والشام فقد قسموا المغرب بحسب قربه وبعده منهم إلى ثلاثة أقسام هي:

1. المغرب الأدنى ويشمل : برقة وطرابلس وتونس وشرق الجزائر.
2. المغرب الأوسط ويشمل: وسط الجزائر وغربها وجزء من شرق المغرب.
3. المغرب الأقصى ويشمل بقية المغرب وموريتانيا.

وقد استمرت هذه التسمية تطلق على الأقطار الثلاثة حتى القرن العاشر الهجري، وعندما استولى الأتراك العثمانيون على المغرب الأدنى والأوسط قسموهما تقسيما جديدا حسب الدول التي أنشأوها فيها، فانقسم إلى ليبيا وتونس والجزائر كما

هي الآن، وعندما جاء الاستعمار الأوربي واستولى على المغرب العربي أيدوا هذا التقسيم الذي وضعه الأتراك.

أما ليبيا اليوم فهي ذلك القطر العربي الذي يحده من الشمال البحر الأبيض المتوسط ومن الجنوب دولة تشاد والنيجر ومالي ومن الشرق مصر ومن الغرب تونس والجزائر.

وأقدم الشعوب الذين سكنوا ليبيا هم البربر فمن هم وما هي أصولهم ولغتهم وهو ما نتعرف عليه في المبحث القادم.

2-2 البربر

لقد وجد البربر بشمال الإفريقي منذ القدم فهم أقد السلالات التي عمرت الشمال الإفريقي.[1] ولا يعرف وجود بشري قبله بالمنطقة، كما لا يعرف تحديد لتاريخه، وكل ما قيل عن هذا الوجود، ومتى جاءوا اليها وعمروها ـ في الحقيقة ـ محض افتراضات لا تصل إلى درجة اليقين، والفينيقيون الذين جاءوا إلى الشمال الإفريقي من شرقي البحر المتوسط، وهم أقدم من وصل المنطقة من المهاجرين الأجانب وجدوا هذه السلالة البشرية معمرة للشمال الإفريقي، ومنتشرة في أرجائه شاغلة له، ولم يجدوا أحد سواها. أما قصة وجودهم في هذا الموطن، وهل هم أصليون أو قدموا من جهة أو جهات أخرى، وتحديد هذه الجهة، فهو حديث تكثر فيه الفرضيات والآراء المختلفة بين المؤرخين ولم يصلوا فيه لرأي موحد.

1. فمن المؤرخين من يرى أن أصل البربر بالشمال الإفريقي، وأنهم لم يأتوا من أي جهة أخرى،[2] خاصة وأن السجلات المصرية القديمة عرّفتنا أن أجداد البربر كانوا موجودين بالمنطقة قبل الألف الرابع قبل الميلاد، وأن الرومان هم الذين سموهم بهذا الاسم عندما يؤسوا من فهم لغتهم[3].

---

(1) ج3ـ ص289 . ابن خلدون ج1ـ ص 516 المسعودي.

(2) البربر عرب قدامى ص156 .

(3) تونس العربية إحسان حقي

2. وهناك من يقول بأن البربر قدموا إلى بلاد المغرب من الشرق، وأن وطنهم الأصلي فلسطين وسوريا والعراق، وأنهم خرجوا من موطنهم بعد مقتل ملكهم جالوت على يد داوود عليه السلام، وتوجهوا إلى المغرب.

3. ومن المؤرخين من يقول: بأن سكان الشمال الإفريقي هم عرب قدموا من جنوب الجزيرة العربية من قبائل حمير اليمنية[1] السامية، وأنهم انتقلوا إلى بلاد المغرب في هجرات عبر باب المندب والحبشة وجنوب مصر والصحراء الأفريقية ومنها إلى الشمال الإفريقي [2]، يدعم هذا القول ما لاحظه الرحالة ابن بطوطة من وجود تشابه في العادات بين بربر الشمال الأفريقي، وأهل مدينة ضفار في عمان بجنوب الجزيرة حيث قال: "إن أهلها رؤوسهم في الغالب حاسرة، وربما يتعاهدونها بالحلق ..."[3]، وهي ظاهرة سجلها اليعقوبي المؤرخ المشهور في القرن الثالث الهجري حيث قال: وبطون هوارة تتناسب كما تتناسب العرب"[4].

ومن المؤرخين من ينسب البربر إلى لخم[5] وجذام العربيتين الشماليتين رحلوا مبكرة إلى الشمال الإفريقي ،واستوطنوا أرض ليبيا والمغرب.

أما ابن خلدون فإنه ينسب البربر (الأمازيغ)[6] إلى ولد (كنعان بن حام بن نوح) ،فهم حاميون، وليسوا ساميين ، ويرى أن لغتهم البربرية حامية. كما وصفهم موسى بن نصير للخليفة الاموي سليمان بن عبدالملك قائلا "هم يا أمير المؤمنين أشبه العجم بالعرب لقاءً ونجدة وصبرا وفروسية وسماحة وبادية "[7] - ووصفهم الرحالة

(1) أصول البربرية العربية الهادي الزربي ص17

(2) تاريخ الفتح العربي .الزاوي ص17 .

(3) رحلة ابن بطوطة ص174 .

(4) العرباوي ص261 . (البربر عرب قدامى)

(5) النشاط الثقافي في ليبيا ص 16 .

(6) الأمازيغ كما يقول ابن خلدون ج6 ص 103،89 تعنى الاشراف الاحرار ،

(7) تاريخ ليبيا الإسلامي د. عبداللطيف البرغوثي،ص97.

الجغرافي العربي ابن حوقل بقوله: "لهم خلق تام وجلد عام في نسائهم ورجالهم[1] وقال عن المتغربين منهم (أهل البربر): "فيهم من الجلد والقوة ما ليس في غيرهم "[2]. - ووصفهم المؤرخ "سترابوا" قائلا: "والسكان هنا ــ أي في الشمال الأفريقي - على بساطة متناهية في أنماط حياتهم ، غير أن للرجال زوجات كثيرات وأولاد كثيرون وهم في جوانب معيشتهم كالبدو الرحل"[3] - يقول المؤرخ التونسي عثمان الكعاك: إن البربر قدموا من الجزيرة العربية في من لا يقل عن ثلاثين قرنا قبل الميلاد، وإن الفينيقيين اختلطوا بالبربر على طول السواحل الإفريقية والمغربية في القرن الثاني عشر ق.م، ولما كان الفينيقيون عربا من بني كنعان فقد اختلطوا بالبربر الذين هم عرب من العاربة القحطانية [4] حيث رجعت اللحمة السامية إلى بعضها [5] ولم يكن التجانس بين العنصرين بالأمر الصعب.

أما المستشرق (كاريت) فإنه يرى أن العرب هم الذين أطلقوا عليهم لفظ (بربر)، أن هذا اللفظ حل محل الليبيين القدامى[6]

يقول العرباوي: "وخلاصة ما أنجز في هذا البحث أن البربر عامة ما هم إلا فرع كبير من تلك الشعوب العربية القديمة التي انتقل إلى المغرب على مراحل ، وانعزل فيه مما ساعده خلال احقاب طويلة على الاحتفاظ ، إن قليلا ،أو كثيرا، بسمات من الصورة التي كانت لأجدادنا ذات يوم في العهود القديمة"[7]

والفرنسيون الذين احتلوا بلاد المغرب (تونس والجزائر والمغرب) قالوا بأن أصل البربر من أوربا، وقد روَج لهذه النظرية علمائهم وعسكريهم ومبشريهم فهذا

(1) صورة الأرض لابن حوقل،ص99.

(2) نفس المصدر،ص98.

(3) أصول الحرف الليبي الصويعي ص147.

(4) من برنامج محطات بقناة الجزيرة الفضائية.

(5) نفس المرجع ص28.

(6) ملامح المغرب العربي عبدالمغيم الشرقاوي ص55.

(7) البربر عرب قدامى العرباوي ص 296.

المستشرق غوستاف لوبن يقارن بين نوعين من البربر، ويصنفهم من حيث السلالة إلى مجموعتين فيقول: "إن المهاجرين السود الشعور قد أتوا من شواطئ الفرات، ومن شمال الجزيرة العربية، أو من مكان أبعد من ذلك، وأما المهاجرين الشقر الشعور الزرق العيون فقد جاءوا من شمال أوربا"[1]، كما أن من العرب من يقول بهذا القول، ": ومع ذلك لا ننكر أن بعضهم يميل إلى فكرة أنه أوربي[2].

وهناك رواية تقول ان البربر هم عبارة عن خليط من اقوام شرقية مختلفة من كنعان والعماليق أو حمير، وكنعان وقريش تلاقوا بالشام ولغطوا. وهي رواية لم تلقى قبولا من المهتمين بالشأن البربري.

2-3 لغة البربر:

عرفت اللغة البربرية كأقدم لغة سادت ليبيا والمغرب يتكلمها عامة الناس من البربر من واحة سيوة وأوجلة في الشرق، إلى زوارة وأكثر الجبل الغربي وجبل نفوسة في الغرب من ليبيا، أما ما يخص أصالة اللغة البربرية فيكاد يجمع رأي المؤرخين على عدم معرفة الأصل الأول للغة البربرية، ولا حتى كيف حلت بالشمال الإفريقي، وإن كان بعضهم يذهب إلى أنها لغة أولئك الرعاة الذين خرجوا من جنوب الجزيرة العربية في الحقب المتقدمة من التاريخ، واستقروا في شمال السودان الخصيب، ثم انزاحوا إلى الشمال الإفريقي عندما حدث التغير المناخي الذي ظهر على أثره الصحراء الإفريقية، وانعزلت البربرية في الشمال الإفريقي واستقرت فيه، مما جعلها بهذا الانعزال والاستقرار تحافظ على خصائصها اللغوية القديمة بشكل يَفْضُلُ غيرها من اللغات، هذا من جانب، ومن جانب اخر تعرضت بسبب هذين العاملين- الاستقرار والانعزال- إلى تنوع داخلي نجمت عنه لهجات كثيرة أو" تنوع لغوي متمايز عن بعضه

(1) النشاط الثقافي في ليبيا د. أحمد مختار عمر ص17.

(2) سليم قلالة. التغريب، ص 135ـ137.

ما يزال ماثلا إلى اليوم تنعدم فيه إمكانيات التفاهم اللغوي بين أصحابه"[1].

وهناك من يرى أنها لغة موغلة في القدم تعود أولويتها إلى الألف الخامس قبل الميلاد، ولها صلة باللغة الفينيقية خصوصا، والسامية عموماً، وقد تكون أصل اللغات السامية[2] يقول المؤرخ الأمريكي "وليام لانغر": "وتتصل اللغة المصرية القديمة واللغات السامية، ولغات البربر بأصل واحد"[3] وهذا المؤرخ الفرنسي "غوستاف لوبن" يقول: "إن لغة البربر العريقة في القدم يحتمل أن تكون مشتقة من الفينيقية"[4]. ويقول "جوتيه" : " إنه إذا كان البربر قد استوعبوا العربية بسهولة على ما يظهر لأنهم لم ينسوا قط الفينيقية[5] ويرى الجنرال "بريمود" في كتابة (البربر والعرب): "إن العربية ذات رحم مع الفينيقية ولذلك أمكن بسهولة أن تحل محلها"[6].

والبربرية تشمل لهجات متعددة متفرعة عن اللغة الأم، وهذه اللهجات منها المشافهة ومنها المكتوبة، وتجمع هذه اللهجات باللغة الأم سمات وخصائص عامة يطلق عليها اسم اللغة البربرية.

وبحكم الانعزال واتساع رقعة الشمال الإفريقي نتج اختلافات كبيرة بين اللهجات البربرية أدت إلى صعوبة التفاهم اللغوي بين مجموعات البربر المتباعدة عن بعضها البعض، فالشلحي مثلا لا يفهم القبايلي، والاثنان لا يفهمان لغة الطوارق.

أما من ناحية تصنيف البربرية أو انتمائها إلى إحدى الأسر اللغوية المتفق عليها بين اللغوين فتختلف فيه آراء اللغويين على النحو التالي: ـ

أولا: الفريق الأول من علماء اللغة يرى أن اللغة البربرية تنتمي إلى مجموعة

---

(1) 167. البربر عرب قدامى

(2) تاريخ افريقيا الشمالية ص78،البربر الامازيغ د.عثمان السعدي ص202.

(3) البربر الامازيغ ص63.

(4) نفس المصدر ص58.

(5) نفس المصدر ص67.

(6) البربر عرب قدامى ص167.

اللغات السامية[1] أو هي فرع منها، وهم بذلك يقولون بسامية الليبيين، ويستندون في تدعيم هذا الرأي إلى مقارنة أجريت بين البربرية مع إحدى الساميات توصلوا من خلالها إلى وجود تشابه بينهما في بعض حروف الحلق "الحاء والعين، والهاء" ووجود في بعض الخصائص الصوتية حيث تقترب البربرية من اللغات السامية في بناء الكلمة من الثنائي والثلاثي، وفي نظام الضمائر وبعض طرق الاشتقاق وقد يرجع بعضهم هذه العلاقة إلى أسباب سياسية كالغزو والفتوحات التي نتج عنها احتكاك بين اللغتين، أدى إلى هذا التقارب، ومنهم من يرجع ذلك إلى الأصول العربية لبعض القبائل البربرية، مثل قبيلتي صنهاجة وكتامة البربريتين ذات أصل العربي.

ومبدأ انتماء البربرية إلى عرب الجزيرة يقوي سامية البربرية لدى هؤلاء العلماء بعدّ البربرية إحدى اللغات العربية القديمة التي هاجرت مبكرا إلى الشمال الإفريقي، فهذا عالم اللغات السامية "أوليتاري" يرى ان انتشار اللغات السامية مع الهجرات قد نجم عنه نشأت لهجات متعددة، في البربرية في نظره، إحدى اللهجات العربية الجنوبية القديمة التي تفرعت عن العربية الام بالجزيرة، وان القبائل التي تكلمت اللهجات البربرية انتقلت جميعها إلى شمال إفريقية، وان في جنوب اليمن قبائل لا زالت تتكلم لغة شبيهة بالبربرية حتى الان.[2]

لقد أنكر ذلك عالم الساميات رينان الذي قرر بأنه " لا يوجد تشابه بين أي لهجة بربرية، ولغة سامية مثل التشابه الموجود بين لغتين ساميتين ".[3]

ثانياً: فريق من العلماء يجعل البربرية فرعا من مجموعة اللغات الحامية التي تضم المصرية القديمة، والقبطية، والصومالية، والإثيوبية، والتشادية، إذ إن غالبية سكان إفريقية يتكلمون بهذه اللغات، واللغويون يَقْبَلُونَ هذا الرأي ويقرونه، وذلك

(1)أصول البربرية العربية ص54ـ55.

(2)البربر عرب قدامى ص296

(3)

لوجود قدر كبير من التقارب بينهما، وهذا ما اثبتته المقارنات التي أجريت بين البربرية والمصرية القديمة، وهي لغة حامية، حيث تبين وجود شَبَهٍ كبير بينهما في النظام الفعلي، وفي نظامي الجمع والضمائر، ووجود قدر مشترك بين اللغتين في الكلمات البدائية، وفي النظام الهجائي الألفبائي الذي كان شاملا لمصر وكريت[1] إلى جانب الشمال الإفريقي.[2] وهو ما أثبتته الاكتشافات الأثرية الحديثة.

إن العام اللغوي سيرجي هو أول من قال بحامية اللغة البربرية حيث قال: اللغة البربرية حامية، وهي قريبة الصلة بالمصرية وغيرها من الحاميات الشرقية .

2-4 الطوارق

الطوارق اسم لمجموعة قبائل بربرية تسكن في الصحراء. وقد جاء الاسم من جمع طارقة وهم من البربر ومن نسل الجرمانتيين الأقدمين، يسكنون الصحراء الليبية ويعرفهم ابن خلدون بالملثمين، ويعزوهم إلى صنهاجة القبيلة العربية اليمنية ، وقد خرجوا من اليمن مع أفريقش لفتح إفريقيا ،وتعرف لغته بالتوارقية، وهي إحدى اللهجات البربرية، وتسمى "التماشق"، وتسمى حروفها "التيفيناغ"[3] ومن قبائلهم المشهورة: لمتونة، ولها الرياسة عليهم ، وأزقر، وهقار، وفوغاس، ويسكنون المناطق الجنوبية الشرقية من ليبيا ، ومنهم القبائل التي تسكن واحات تازربو، والكفرة، وربيانة، وشريَمة "مجموعة واحات الكفرة" ويتحدثون لغة التبو وهي لهجة من اللهجات البربرية المتعددة. [4] كان من أهم الاختلافات التي أوردتها المصادر، هو تحديد تاريخ تواجد الطوارق في منطقة الصحراء الكبرى، إلا أن أغلبيتها اتفقت على أن تاريخهم في المنطقة يعود إلى آلاف السنين وبعضها يحدده بعشرات المئات من

(1)

(2)

(3) مقتبس من أصول الحرف الليبي، الصويعي ص147ـ148.

(4) ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين بازامه ص65.

السنين قبل الميلاد بل آلاف السنين قبل الميلاد[1]

2-5 التبو

ويشير المؤرخون إلى أن (التَّبو)قبائل بدوية تحمل هوية مختلطة زنجية وعربية، ولم يتوصل أي من المهتمين بدراسة الأعراق والأجناس إلى هوية محددة لتلك القبائل، نظرًا لتنوّع مجتمعاتهم وتباينها فيما بينها، جغرافيًا وثقافيًا، إذ استوطنوا الجزء الأوسط من الصحراء الكبرى الأفريقية، على امتداد الجزء الجنوبي من ليبيا والأجزاء الشمالية والغربية الوسطى من تشاد، وشمال شرق النيجر وأقصى شمال غرب السودان[2]، أما هيرودوت في كتابه (تاريخ هيرودوت) فقد تطرّق إليهم فنَسبهم إلى المجموعة الزنجية الإثيوبية أو الحبشية، وحدَّد مواطن سكنهم من فزان في ليبيا مرورًا بتشاد وصولًا إلى النيجر، مع امتدادات محدودة في الدول المجاورة خاصة السودان وأفريقيا الوسطى، وفي الوقت الذي يصنّف فيه الأمازيغُ التّبو على أنهم عرب، يعتبرهم العرب زنوجًا، فيما يصنفهم الزنوج عربًا.

يتحدث التبو عددًا من اللغات لكن اللغة الأكثر انتشارًا هي التباوية والتي تعتبر واحدة من أعرق اللغات في ليبيا، ويتحدث بها المنتسبون للقبيلة

واللغة التباوية لغة قديمة جداً؛ إذ تمتد جذورها إلى آلاف السنين، فلقد أشار إليها المؤرخ اليوناني الكبير هيرودوت عند معرض زيارته لليبيا، وهي تنتمي إلى الفرع الغربي لعائلة اللغات النيلية الصحراوية؛ إذ تلتقي مع اللغة الكانورية في جذورها الكبرى، والتباوية لغة لها تقاليد أدبية عريقة بقيت محتفظة بها طيلة آلاف السنوات من عمرها، يتوارثها ناطقوها رغم بقائها شفهية فترة طويلة.

أما من حيث خصائصها فاللغة التباوية تعتبر من اللغات الإلصاقية كالإنجليزية والفرنسية، وهذه الخاصية تعطيها مقدرة كبيرة جداً في خلق ألفاظ ومصطلحات

(1) ص 32. - الطوارق الشعب والقبيلة ،همام هاشم الالوسي ،دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط،طص:2010،1

(2) - https://www.noonpost.com/content/29847

جديدة وبالتالي مواكبة الحياة والتطورات التي تلحق بها.

ونظراً لاتساع الرقعة الجغرافية التي تنتشر فيها التباوية وتعدد الأقاليم التي يتحدث سكانها بها فإنها قد انقسمت إلى لهجتين : تُدگا " "Tudagaودزگا ""Dazaga، الأولى يتحدث بها سكان فزان والكفرة وكوار وتبستي وجزءٍ من سكان الصحراء، بينما يتحدث بالثانية سكان بوركو وإنيدي وكانم والجزء الأكبر من سكان الصحراء وجزءٍ بسيطٍ من سكان الكفرة، رغم انقسام التباوية إلى لهجتين إلا أن هناك تفاهماً تاماً بين الناطقين بها، والاختلافات الموجودة بينمها طفيفة جداً، انقسام التباوية إلى لهجتين ليس نقصاً فيها فهذه الظاهرة معروفة في كل لغات العالم.

ولقد إحتلت اللغة التباوية مكانة متميزة في نظر الباحثين والمستشرقين المنصفين الذين عرفوا خصوصيتها وراعهم قيمتها وجمالها، كالباحث الأمريكي "مارك اورثمان" الذي قال: (''قَلَّ منّا نحن الغربيين مَنْ يُقدّر اللغة التباوية حق قدرها ، من حيث أهميتُها وغناها، فهي بفضل تاريخ الأقوام التي نطقت بها وبداعي انتشارها في أقاليمَ كثيرة، واحتكاكها بمدنيات مختلفة، قد نمت إلى أن أصبحت لغةً مدنية بأسرها، بعد أن كانت لغة قبلية ، لقد كانت للغة التباوية ماضي مَجيدٌ، وسيكون لها مستقبلٌ زاهر''). ويضيف اورثمان أيضاً : (إن للغة التباوية من اللين والمرونة ما يمكنانها من التكيف وفق مقتضيات العصر، وهي لم تتقهقر فيما مضى أمام أي لغة أخرى من اللغات التي احتكت بها، بل ستحافظ على كيانها في المستقبل كما حافظت عليها في الماضي، وبنو عامر بطن من بطون لواته البربرية وجميلة اسم لبطن من بطون كاتمة، وحمزة قبيلة من زناته، والقبايل "مخففة الهمزة" جمع قبيلة اسم عربي يطلق على بربر أطلس بالئر [1] "والحق الذي لاينبغي العويل على غيره في شأنهم ، (أي البربر) أنهم من ولد كنعان بن حام [2] بن نوح" .ويترتب على ذلك لغتهم حامية .

زواغة: قبيلة من البربر البتر تقع غربي مصراته ، وهي أطلال الان، وما زالت رسومها تحمل اسمها بين الأهالي حتى الآن. -زناته: مجموعة قبائل القسم الرئيسي منها وهم "بنو يفرن" توجد في قبيلتين: "زوارة، وزواغة" كما يوجد منهم بنو دمر في

(1)البربر عرب قدامى. العرباوي ص 248 .

(2) مقدمة ابن خلدون، ط أولى، بيروت، ص38 ـ48.

غماطة "قماطة" وبنو رسفان في زوارة، وبنومغر، وبنو باذين، وبنو نوجين في مناطق طرابلس ومسلاته، ومنهم بقية في فزان ، وفي الصحراء مع بعض طوائف صنهاجة وأصول القبيلة عربية[1].

(1) طرابلس الغرب ص125.

(3)

اللغة الفينيقية

وقد وجدت في الشمال الإفريقي إلى جانب البربرية السائدة لغات أخرى أقل انتشارا من البربرية، واقتصر وجودها على المدن الساحلية، وهي لغات الطبقة الحاكمة من المستعمرين القادمين من الساحل الأوربي وغيره، تمثل هذه اللغات المحدودة الانتشار جزرا لغوية وسط اللغة البربرية، ومن هذه اللغات: اللغة الفينيقية، وهي لغة سامية حيت جاء الفينيقيون من سواحل الشام وفلسطين في مراكبهم التجارية، وأنشأوا مدينتهم قرطاج على الساحل التونسي، وتربطهم بالبربر إلى جانب العلاقة التجارية علاقة الانتماء للأصل الواحد السامي

عرف الكنعانيون الذين سكنوا ساحل سوريا الشمالي باسم الفنيقيين، أطلقه عليهم الإغريق وعرفوا بعد1200 ق.م ، وان الفينيقيين اختلطوا بالبربر على طول السواحل الافريقية المغربية، في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، ولما كان البونيقيون عربا من بني كنعان فقد اختلطوا بالبربر الذين هم عرب من العاربة القحطانية

والذي يؤكد هذه الحقيقة ان مدينة سوسة التونسية كانت تسمى [حضر موت]، فقد ذكرها بهذا الاسم المؤرخون الرومان عندما رسا بهم القائد القرطاجي [حنا بعل] بجيشه العائد به من إيطاليا سنة 202 قبل الميلاد.، يقول يويتن:" أن الفنقيين خرجوا من بلادهم بسبب زلزال، وأقاموا في البداية على بحسرة سوريا ثم استقروا بعد ذلكعلى ساحل البحر المتوسط "

كانت بالمغرب العربي قبل الإسلام لغة عربية فصحى مكتوبة هي البونيقية الكنعانية ولهجات دارجة شفوية بربرية منحدرة من العربية العاربة القحطانية، لقد كانت الكنعانية لغة الحضر والعبادة والثقافة والدواوين. فموسوعة يونيفارساليس الفرنسية تقول: صارت اللغة البونيقية اللغة المشتركة لا يحدث بها القرطاجيون فحسب، لكن يتكلم بها سائر سكان المدن، بل كانت لغة الملوك الأفارقة أنفسهم

مثلما تشهد علي ذلك العملة المضروبة في عهد ماسنيسان وسيفاكس كما يقول حجاوي أن اللغة التي يتكلم بها السكان الفينيقيون هي الفينقية ، ويطلق عليها اسم البونية، وتقع على الساحل التونسي، ولعة قرطاجة فينيقية متأثرة بلهجة مدينة صور... ويقسم تاريخ اللغة الفنيقية إلى مرحلتين: مرحلة البونية ومرحلة البونية الحديثة ، ولقد حدث صراع بينالرمان والفنيقيين على مدينة قرطاج في القرنين الرابع والثالث ق.م ولكن روما قضت عليها وخضعت البونيون للرمان، فتأثرت اللعة البونية الجديدة باللغة اللاتينية.

ولكن اللغة الفنيقية مع مرور الزمن أخذت في التغير، وأصابها شيء التحريف وذلك راجع إلى اختلاط القادمين الجدد بالسمان الأصليين واتجهت إلى تكويا لهجات مختلفة عن اللغة الأصلية حتى أصبحت تعرف باللغة البونية واستمرت اللغة البونية كلغة ثقافة مكتوبة منذ خروج الامازيغ من العصر الحجري الأخير علي يد الفينيقيين، الى يوم وصول العرب المسلمين الفاتحين. وقد استمرت لغتهم موجوده ومتداوله حتى الفتح الإسلامي، ثم جاءت اللغة اللاتينية لغة الفرجنة وأتباعهم من الروم المستعمرين للشمال الإفريقي، وهاتان اللغتان رحلتا عن ليبيا برحيل المستعمرين بعد الفتح الإسلامي لها الذي بدأ سنة21 هولم يبقى لها أي أثر يذكر.

المعني هذا كله ان اللغة البونيقية كانت قبل الفتح الإسلامي تقوم بنفس الوظيفة التي صارت تقوم بها اللغة العربية بعد فتح وان دخول العربية المستعربة مع الإسلام جاء ليخلف اللغة العربية القديمة الكنعانية بأسلوب تطوري طبيعي، من لغة عربية قديمة الي لغة عربية حديثة طورها الإسلام وقد قام الدكتور علي فهمي خشيم بدراسة تحليلية للقراءتين وخرج بقراءة عربية وعروبية سليمة، خلال النص القرطاجي لنثبت عروبة وعربية الكنعانية التي كانت اللغة الفصحى قبل الإسلام بالمغرب العربي وقد حدد تاريخ النقيشة محمد المختار العرباوي بسنة 139 ق.م في

عهد الملك مكوسان بن ماسنيسان والذي يؤكد عربية وعروبية الكنعانية

من آثار الكنعاني الثقافي بالمغرب العربي، كتابة التيفيناغ وهي الكتابة الفينيقية التي استعملها الطوارق وحافظوا عليها مع تحريفهم لكثير من حروفها، ولا زالوا يستعملونها حتى الان بأسلوب بسيط يفرد الباحث اللغوي الانجليزي باتس فصلا في كتابة عن التشابه بين حروف التيفيناغ وبين الكتابة الفينيقية، ويتصل الى أن التيفيناغ فينيقي، كما يدخل الابجديتين في أطار الحرف المسماري التي تنحدر منه الابجدية العربية والكتابة السامية [العربية] بصورة عامة

كان الوضع الثقافي قبل الفتح يشبه الوضع الثقافي بعده لغة عربية هي الكنعانية [البونيقية] مكتوبة تسطير على الحضر والعبادة والثقافة المنظمة، ولهجات شفوية امازيغية عربية عاربة تدور حولها في الريف. وبعد الفتح حلت عربية قريش التي اتى بها القران الكريم محل العربية الكنعانية[البونيقية].

(4)

اللغة العربية

اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، فاللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون. ويقول الثعالبي:"ومن هداه الله للإسلام، وشرح صدره للإيمان، وآتاه حسن سريرة فيه اعتقد أن محمداً خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال عليها وعلى تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم."[1] وهي لغة القرآن المجيد يقول المولى جل جلاله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴾[2].

كما يقول أحد الشعراء:

هام الفـؤاد بروضـك الريـان ... أسمى اللغات ربيبـة القـرآن

أنا لن أخاطب بالرطانة يعربا ... أو أســتعير مترجمًــا لبيــاني

أودعــت فيــك حشاشــتي ... ولأنــت أمي والدي وكيــاني

لغة حباها الله حرفًـا خـالدًا ... فتوضعت عبـقًا على الأكوان

وتلألأت بالضاد تشمخ عـزةً ... وتسيل شهدًا في فم الأزمـان

يقول عنها المستشرق الفرنسي رينان: "من أغرب المُدْهِشات أن تنبتَ تلك اللغةُ القوميّةُ وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري عند أمّةٍ من الرُحّل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرةِ مفرداتها ودقّةِ معانيها وحسنِ نظامِ مبانيها، ولم يُعرف لها في كلّ أطوار حياتها طفولةٌ ولا شيخوخةٌ، ولا نكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تُبارى، ولا نعرف شبيهاً بهـذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملةً

(1) فقه اللغة، الثعالبي:ص15

(2) سورة الشورى: الآية: 7.

من غير تدرّج وبقيت حافظةً لكيانها من كلّ شائبة."

ويقول المستشرق الأمريكي وليم ورل: "إن اللغة العربية لم تتقهقر فيم مضى أمام أي لغة أخرى من اللغات التي احتكت بها، وينتظر أن تحافظ على كيانها في المستقبل كما حافظت عليه في الماضي وللغة العربية لين ومرونة يمكنانها من التكيف لمقتضيات هذا العصر"، فأبشروا أهل تلك اللغة التي لا تقهر ولا تتقهقرّ.

ومن أجمل ما قيل عن سعة اللغة العربية ما قاله المستشرق الألماني كارل بروكلمان: "بلغت العربية بفضل القرآن من الاتساع مدىً لا تكاد تعرفه أيُّ لغةٍ أخرى من لغات الدنيا، والمسلمون جميعاً مؤمنون بأن العربية وحدها اللسانُ الذي أُحِلّ لهم أن يستعملوه في صلاتهم".

وقال الأستاذ ميليه: "إنَّ اللغة العربية لم تتراجع عن أرض دخلتها لتأثيرها الناشئ من كونها لغة دين ولغة مدنية، وعلى الرغم من الجهود التي بذلها المبشرون، ولمكانة الحضارة التي جاءت بها الشعوب النصرانية لم يخرج أحد من الإسلام إلى النصرانية، ولم تبق لغة أوروبية واحدة لم يصلها شيء من اللسان العربي المبين، حتى اللغة اللاتينية الأم الكبرى، فقد صارت وعاءً لنقل المفردات العربية إلى بناتها"؛ أي أنهم أرادوا بها كيدًا فوجدوا من ريحها وطيبها وعطرها.

وقال الفرنسي جاك بيرك: "إن أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة العربية، بل اللغة العربية الكلاسيكية الفصحى بالذات، فهي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسا، إن الكلاسيكية العربية هي التي بلورت الأصالة الجزائرية، وقد كانت هذه الكلاسيكية العربية عاملاً قوياً في بقاء الشعوب العربية".

أما عن دخول اللغة العربية إلى ليبيا فقد كان على يد الفاتحين الذين قدموا من شبه الجزيرة العربية بقيادة عقبة بن نافع سنة23هوانتشرت العربية بين السكان كما انتشر الدين الجديد وكان وراء هذا الانتشار السريع أسباب منطقية نذكر منها.

(5)

أسباب انتشار اللغة العربية بين الأمازيغ

- الدين الإسلامي يهدف إلى نشر التوحيد، وإعلاء كلمة الحق ورفع الظلم ونشر الأخلاق الفاضلة بين الناس الأمر الذي كان له بالغ الأثر في نفوس معتنقيه فأقبلوا عليه بحب وإخلاص ودخلوه بقناعة تامة فرضتها حسن معاملة الفاتحين وكان لزاما على من يدخل هذا الدين أن يتعلم اللغة التي يتعبد بها.
- كثرة المساجد والزوايا ومجالس العلم، [1] حيث كان لها أكبر الأثر في ترسيخ العقيدة وتفقيه الناس في دينهم وفي نشر اللغة العربية بين البربر.
- كان لاستتباب الأمن والاستقرار الذي قام به حسان بن النعمان في أفريقيا بعد مقتل الكاهنة البربرية، وطرد الروم من أفريقيا نهائيا الدور البارز في انتشار اللغة العربية.
- كذلك الإصلاحات التي قام بها في فترة حكمه من عام 77 هإلى عام 86هـ التي منها:

ـ قطع العلاقة بين الكنيسة والكاثوليكية بروما

ـ دوَن الدواوين وجعل ديوان اللغة العربية في الحكومة هو الرسمي

ـ وزع الأراضي على فقراء البربر فازداد البربر رغبة في الإسلام

ـ أقر المالكين في أملاكهم ، وألزم كل قبيلة زراعة أرضها ودفع زكاتها أو خراجها لبيت مال المسلمين

ـ عيَن القضاة للنواحي لحل مشاكل الناس

ـ عمم اللغة العربية كلغة تفاهم وكتابة رسمية في الدولة، فلا تقبل الرسائل والشكاوي إلا بها

(1) النشاط الثقافي ص58.

ـ عمل على تعليم البربر وتفقيههم في أمور دينهم، وإنشاء المساجد في المدن والقرى

وهكذا لم تمر فترة نصف قرن أو بضعة أجيال حتى صار أغلب البربر من حدود ليبيا الشرقية وحتى شواطئ الأطلسي مسلمين يتحدثون العربية ويكتبونها .... وسبب ذلك رسالة الإسلام ذات المحتوى الروحي المحبب لنفوس الشعوب القبلية هذا من جانب، ومن جانب اخر عندما حل المسلمون ببلاد المغرب بثقافتهم، لم تجد الثقافة العربية الوافدة أن البيئة الثقافية السائدة بين البربر غريبة عنها، بسبب محافظة البربر على عناصر وممارسات ثقافة فينيقية[1] بينهم، كما أن الهجرات العربية كان لها الدور الكبير في رسوخ اللغة العربية وانتشارها بين السكان، فقد جاء العرب إلى ليبيا في ثلاث هجرات متتابعة كان لها دور أساسي وفعال في نشر الإسلام واللغة العربية في أرجاء البلاد، وتحويل البربر من وثنين يتكلمون البربرية إلى مسلمين ينطقون بالشهادتين، ويؤدون فرائض الإسلام ويتكلمون العربية بطلاقة كعرب الجزيرة أو كمناذرة الحيرة وغساسنة الروم، وتتمثل هذه الهجرات في:

الهجرة الأولى:

وهي الهجرة التي ابتدأ بها الفتح العربي لليبيا والمغرب، وهي عبارة عن الاف من الجنود قدموا من الجزيرة العربية مباشرة من اليمن والحجاز وأغلب القبائل العربية، ودخلوا برقة في أول مرة في جيش الفتح بقيادة عمرو بن العاص سنة21 هـ وانتشروا غربا وجنوبا، ثم اختلطوا بسكان البلاد من البربر، وكانوا أسراً اختلطت فيها الدماء السامية بالحامية، وكان هؤلاء الجنود هم النواة الأولى والقاعدة المتقدمة للعرب والمسلمين في ليبيا، التي انطلق منها جنود الفتح لبلاد المغرب لنشر الإسلام واللغة العربية فيها[2] .

الهجرة الثانية:

(1) 135. اقطار المغرب العربي ص67، البربر ص

(2) ملامح المغرب العربي ص26.

هجرة بني سليم وهلال ورياح إلى ليبيا والمغرب: وتمثل هذه الهجرة أكبر حدث في تاريخ ليبيا والشمال الإفريقي عامة بعد الفتح الإسلامي، وقد جاءت الهجرة بأمر المستنصر الفاطمي في منتصف القرن الخامس الهجري ومما ساعد في استيطان العرب لليبيا لأنها تمتاز باتساعه أراضيها وكثرة خيراتها ومراعيها وقلة ساكنيها لذلك فضلت القبائل العربية المهاجر استيطانها، وكان من هذه القبائل مثلاً سليم وغسان ولخم وجذام والأزد ورياح وتجيب وصدف من أهل اليمن وغيرهم من بطون العرب[1] يقول المقريزي عن سليم: "مساكنهم مما يلي مصر، وكانت في عالية نجد بالقرب من خيبر، ثم تحولوا إلى مصر وإفريقية، ولم يبق لهم عدد ولا بقية ببلادهم، وصار لهم بإفريقية عدد عظيم،"[2] - وكان لاختلاط القبائل والبيوت العربية مع البربر اثر في تعريب هذه القبائل الأمازيغية التي أقام المهاجرون العرب بينها، وحصل تزاوج بين الأسر العربية والامازيغية بحكم الجوار، فنشأ جيل من المولدين يدين بالإسلام ويتكلم العربية.

الهجرة الثالثة: هاجرت فيها مجموعة من عرب تميم من القسم الشرقي من ليبيا، وقد تمت هذه الهجرة سنة 550 هـ على يد تميم حميد بن جارية، حيث نقل إلى تاجورة مجموعة من عرب تميم سكنوا أرض "عبد رب"[3]، ومن هذا السرد يتضح أن القبائل العربية المهاجرة انتشرت في القسم الشمالي من ليبيا انتشارا واسع واستوطنته، واختلطت بالبربر اختلاطا تاما نتج عنه:

ـ فقدان البربر للغتهم البربرية، وزيهم الخاص بهم وعاداتهم وتقاليدهم، وصاروا مثل العرب.

ـ ظهور جيل مختلط بالدماء (عرب بربر[4]) بسبب التقارب بين العرب والبربر.

---

(1)معجم البلدان الليبية الزاوي مادة برقة.

(2)البيان والإعراب، مقتبس الزاوي مادة برقة ليبيا في كتاب التاريخ والسير ص24.

(3) معجم سكان ليبيا ص245،152،291.

(4) ص52.

ـ إن العنصر العربي أصبح هو العنصر الغالب على الحياة في ليبيا بعد هجرة القبائل العربية إليها.

ـ كان للغزوة الهلالية فضل كبير في تعريب البلاد، وتخفيف حدة اللهجات المحلية في القرى البربرية.[1]

فكان لهذه الهجرات الأثر الكبير في تثبيت الإسلام ونجاح عملية التعريب. ولقد جاءت اللغة العربية إلى موطنها الثاني مع القبائل العربية التي اندمجت مع البربر سكان البلاد الأصليين، وتعايشوا معهم، فتعرب البربر، وانتشرت بينهم اللغة العربية، وأصبحوا يتكلمونها بطلاقة، وأصبح من العسير تمييز العنصر البربري من العنصر العربي، ونسوا رطانتهم وعاداتهم وزيهم، واستبدلوها بزي العرب وعاداتهم[2]، ولم يستن من ذلك إلا طائفة من البربر انعزلت في المرتفعات الوعرة، أو في الصحراء واحتفظت بنقاوة جنسها ولهجتها البربرية مكونين ما يشبه الجزيرة اللغوية[3]. ولقد وصف هذا الواقع اللغوي الذي آلت اليه البلاد بعد الفتح مجموعة كبيرة من المؤرخين والرحالة والمستشرقين نذكر منهم

ومن المستشرقين يقول جوستاف لوبون: "تمت تلك الهجرة ببطء، وملأ العرب شمال إفريقيا بالتدريج، فقد جاوز العرب طرابلس الغرب بعدما مكثوا بها سنتين، وزحفوا خطوة، وولجوا الأودية جماعات على مهل، واختلطوا بالسكان رويدا رويدا، وزاد عددهم شيئا فشيئا، وفرضوا، بفضل كثرتهم على البربر عادتهم ودينهم ولغتهم بعد بضعة أجيال، ولم يتركوا لأمراء البربر سوى سلطة وهمية، ولم ينفلت من نفوذهم إلا القبائل التي دحرت إلى الجبال، وبعض البقاع الجنوبية"[4].

.وأصبحت فصاحة سكان ليبيا وخصوصا برقة مثار انتباه وإعجاب كبيرين من الرحالة المارين بأرض ليبيا، فهذا العبدري البلنسي يعجب بفصاحة عرب برقة، وراها ظاهرة تستحق التسجيل حيث يعلل ذلك بقلة ورود الناس عليهم، فيقول في

(1) البربر الامازيغ ص140.

(2) ص53.

(3) النشاط الثقافي في ليبيا ص88.

(4) حضارة العرب ص257.

رحلته[1]: "وعرب برقة اليوم من أفصح عرب رأيناهم، وعرب الحجاز أيضا فصحاء، ولكن عرب برقة لم يكثر ورود الناس عليهم، فلم يختلط كلامهم بغيره، وهم الان على عربيتهم، لم يفسد من كلامهم إلا القليل، ولا يخلون من الإعراب إلا مالا قَدْرَ له، بالإضافة إلى ما يعربون، وقد سألت بدويا لقيته يسقي إبله على ماء يقال له أبو شمال: هل نمر عليه... فقال لي: نعم تطأون أبا شمال وأثبت النون في الفعل ونصب المفعول، وليس في المغرب عربي ولا حضري يفعل ذلك، ومررنا بأطفال منهم يلعبون، فقال لنا واحد منهم : يا حجاج معكم شيء تبيعونه، أثبت النون وسكن الهاء للوقف، ورأيت أعرابيا منهم قد ألحت عليه امرأه تسأله عن طعام معه فقال لها والله ما تذوقينه، فأتى بضمير المخاطبة على وجهه وأثبت النون وسكن الهاء، وسمعت شخص ينشد في الركب مكرياً راحلة يقول: من يكري زاملة؟ فسمعه بدوي فقال له أعندك الزاملة؟ فقال: نعم، قال فلا تقل من يكري، وقل من يستكري، وسمعت صبيا منهم ينادي في الركب يا حجاج من يشتري الصفيف؟ [2] فلم يفهم عنه أكثر الناس، فقلت له: اللحم معك؟ قال: نعم، وأبرز لحم طبي مقدد ... وسألت شخصا عن ماء هل هو معين[3]؟ فقال لي هو غدق[4] ... وما يتكلمون به من الغريب أكثر من ان يحصى..."[5]

وكذلك الحشائشي التونسي يصف فصاحة سكان الجبل الأخضر فيقول: "أعراب بادية لسانهم طلق فصيح بالعربية[6] ، ويقول ابن خلدون متحدثا عن أثر العرب في البربر لغة وعادات وانتسابا: "وقد تبدُّوا معهم -أي مع قبائل بني سليم- ونسوا رطانة الأعاجم، وتكلموا بلغة العرب، وتحلوا بشعارهم في جميع أحوالهم"[7] وقال عن هوارة

(1)بدأ العبدري رحلته في الخامس والعشرين من ذي القعدة عام 688.

(2) ص55.

(3)الماء السائل على وجه الأرض .

(4) الماء الغدق. الكثير.

(5) الرحلة المغربية ص82.

(6) رحلة الحشائشي، ص98.

(7) ابن خلدون،ج6 ص116 مقتبس من تاريخ ليبيا ص152.

البربرية: "صاروا في عداد الناجعة عرب بني سليم في اللغة والزي وسكنى الخيام وركوب الخيل وممارسة الحروب وإيلاف الرحلتين في الشتاء والصيف في تلولهم وجبالهم، وقد نسوا رطانة البربر واستبدلوا منها فصاحة العرب فلا يعاد يفرق بينهم".[1]

واستمر انتشار اللغة العربية في سائر المناطق الامازيغية من الزيريين والحماديين والزيانيين وغيرهم. وكان قمة الإنجاز الامازيغي العربي الفية زين الدين بن معطي الزواوي، فقد نظم قواعد اللغة العربية في ألف بيت بالقرن الثاني عشر الميلادي سابقا ابن مالك في الفية بقرن. وقد اعترف هذا الأخير بفضل ابن معطي، فقال:

وتقتضي رضا بغير سخط فائقة الفية ابن معطي
وهو بسبق حائز تفضيلا مستوجب ثنائي الجميلا

أما الوضع اللغوي الذي ساد منذ الفتح وحتي دخول الفرنسيين سنة 1830م فخير من يلخص ذلك هو المؤرخ التونسي عثمان الكعاك، يقول فقد حمل الفاتحين العرب معهم اللغة والدين ممثلين في القران الكريم، الذي هو قوام دين، ودستور وسياسة، وبحر اخلاق، وقاموس لغة، ديوان ثقافة لذلك بني الفتح علي الثقافة في يوم الفتح نفسه [2]

(1) (المنجد في اللغة،ص792 مادة نجع) وتاريخ ابن خلدون ج6 ص104. ليبيا في كتاب التاريخ والسير، ص136.
(2) عثمان الكعاك: مراكز الثقافة بالمغرب العربي. القاهرة 1958 ص (14/12) .

(6)

الخلاصة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على صاحب المعجزات فبعد هذا التطواف وصلنا بهذا البحث بفضل الله إلى النهاية لنسجل لكم أهم النتائج التي توصل لها وهي على النحو التالي:

- ليبيا اسم لرقعة من الأرض اختلفت مساحتها وامتدادها وتسمياتها عبر التاريخ.
- اختلف المؤرخون حول من هم سكان ليبيا الأصليون ولكن القول الراجح هم البربر الأمازيغ.
- كما اختلفوا في أصل لغتهم بين العربية القديمة والعروبية والكنعانية.
- قبائل البربر تتكلم لهجات مختلفة حتى يصل الأمر إلى عدم فهم بعضهم بعضا.
- الكنعانيون سكنوا ليبيا والبربر اختلطوا معهم وأتقنوا لغتهم وتكلموا بها زمنا طويلا.
- اللغة العربية دخلت ليبيا مع جيوش الفتح الإسلامي.
- إن اللغة العربية انتشرت بسرعة بالمغرب العرب لأنها وجدت الناس يتكلمون لهجات امازيغية عربية عارية بالريف، ويتكلمون بالحضر اللغة الكنعانية التي هي عربية مكتوبة ويتعبدون بها، ويمارسون بها حياتهم الثقافية الرسمية.
- كان لتعاليم الذين السمحة والمعاملة الحسنة من قبل الفاتحين دور كبير في انتشار اللغة العربية وتعلمها.
- كان للمساجد والمدارس دور في نشر اللغة العربية بين الليبيين.
- اللغة العربية ما زالت شامخة في ليبيا بشموخ جبالها ولازال سكان ليبيا يتكلمون بها إلا أن هناك لهجات ولغة دارجة فرضتها الظروف التي مرت بها البلاد من استعمار واختلاط بأجناس أخرى.

(7)

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- أصول البربرية العربية. الهادي الزريبي. التعاضدية التونسية للطباعة والنشر. ط أولي 1987م

- أصول الحرف الليبي. عبدالعزيز الصويعي. ط اولي. مصراته. اعلام المغرب العربي.

- البحث اللغوي عند العرب. د. أحمد مختار عمر، دار المعارف 1971 .

- البربر الامازيغ . عثمان السعدي . ط اولي . الملتقى . بيروت 1998

- البربر عرب قدامي . محمد مختار العرباوي . الرباط المغرب .1993

- الحضارة الاسلامية في المغرب . الحسن السائح . دار الثقافة والنشر والتوزيع الدار البيضاء .ط2. 1986ف.

- الحضارة الفينيقية في ليبيا ز عبدالحفيظ الميار .ط أولي .دار الكتب بنغازي 2001ف

- النشاط الثقافي في ليبيا . د. أحمد مختار عمر .ط أولي .دار الكتب بيروت 1971م

- تاريخ ابن خلدون . عبد الرحمن بن خلدون . ط ثانية .دار الفكر بيروت 1998م

- تاريخ إفريقيا الشمالية . شارل اندري جوليان . ترجمة محمد امزالي واخر. الدار التونسية 1989م.

- تاريخ الفتح العربي في ليبيا . الطاهر أحمد الزاوي .ط ثانية . دار المعارف .1963م .

- تاريخ المغرب الكبير . محمد علي دبوز .ط اولي . الحلبى . 1963م. – تاريخ

ليبيا .من الفتح العربي حتي مطلع القرن التاسع الهجري . د إحسان عباس . دار ليبيا للنشر والتوزيع

- تاريخ ليبيا الاسلامي .. عبد اللطيف البرغوثي . ط اولي بيروت .1971م
- رحلة التجاني . تقديم حسن حسني عبدالوهاب . ط تونس 1958م
- رحلة الحشائشي. تحقيق علي مصطفى المصراتي . اولي . بيروت 1965.
- رحلة العبدري. تقديم أحمد بن جدو . قسنطينية الجزائر.
- رحلة ابن بطوطة . شمس الدين ابن بطوطة . دار صادر بيروت 1964م
- طرابلس الغرب. محمد ناجي. دار مكتبة الفك. طر ابلس. 1973م.
- فتح مصر والمغرب . ت عبدالمنعم عامر وغيره. ط لجنة البيان العربي.
- قادة فتع المغرب العربي. محمود شيت خطاب. ط أولى .1966م.
- ليبيا في كتب التاريخ والسير .إحسان عباس .دار صادر. بيروت .ط. أولى .1968.
- ليبيا في كتب الجغرافيا والرحلات. محمد يوسف نجم . دار ليبيا للنشر.
- ليبيا في عهد الخلفاء الرشيدين. محمد مصطفى بازامة . دار الكتب. بيروت.1979م.
- مقدمة ابن خلدون. عبدالرحمن بن خلدون.ط2.دار الكتاب . بيروت. 1961م.
- ملامح المغرب العربي. عبد المنعم الشرقاوي وغيره. ط1. الاسكندرية 1959م.
- نزوح العرب إلى شمال افريقيا. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة مايو. 1984.
- نشأة الكتابات وأشكالها عند الشعوب. أحمد هبو. ط،1 سوريا.1984.